العُقَد

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي

١ً (تعريفها ومرادفاتها) انَّ للعرب نوعاً من الحساب يكون باصابع اليدين يُقال لهُ : « العُقُود او العُقَد او حساب اليد . وهو المسمَّى عند علماء الافرنج :- Dactylonomie

٢ً (لُغويَّة لفظة العُقَد) قد ذكر النحويون لفظة العُقَد في كتبهم عند كلامهم عن تعريف اللفظ بقولهم : « فيُحترز باللفظ عن الدوالّ الاربع : الاشارة والكتابة والعُقَد والنُّصَب اذ كلّ منها مفيد وليس بلفظ » . غير ان اغلبهم لم يشرحوا معنى العُقَد هنا وإنْ شرحهُ غيرهم من الادباء في مظانّ هذه اللفظة . وقد قضينا العجب بوقتهِ مما طالعناهُ في مجلة البيان (١ : ٨٨ الخ) حينما سُئلت عن ضبط اللفظة ومعناها اذ خاضت في الكلام ولم تُجب عن السؤال الّا بعباراتٍ لا تخلو من مغامز . ولا بُدَّ من ايراد شيء من نصّ هذه المجلة ليطّلع القراء على ما هناك من العَسْف والتعسُّف . قالت ما حرفهُ :

« اما ضبطهما (اي لفظتي العُقَد والنُّصَب) فكل من سمعناهُ يرويها من اهل المُصطلَح ينطق بها بضمّ فتح كما ذكرتم ولا وجه لهُ الّا ان يكونا جمع عُقدة ونُصبة بالضمّ فيهما . بل جاء في الكُتُب في مكان النصب « النصبة » مصرّحاً فيهِ بالتاء . وحينئذٍ فاقرب ما تُفسَّر بهِ العقدة في هذا الموضع انها اسمٌ لموضع العَقْد أُخذت من عقدة الحبل ونحوهِ كما أُخذ الفعل مما سيجيء وان لم يصرّح اللغويون باستعمالها في هذا المعنى . واما النُّصبة فلم ترد في كُتُب اللغة الّا بمعنى السارية وهي العمود فلا تنطبق على المقصود الّا بتكلُّف . وقد سألنا بعض اكابر اهل العلم عن ضبط هذين اللفظين ومعناها فلم يكن عندهم في ذلك عناء ولم يزيدوا على قولهم : « هذا امرٌ قد انتهى الينا على هذا الوجه وغابت عنّا اصولهُ » . ولعلّ الاشبه في ضبطهما ان يكونا بفتح فسكون على انهما مصدران بمنزلة الحطّ والاشارة . واما معناهما فالاظهر ان المراد بالنُّصَب اقامة ما يستدلّ بهِ من المنار والحدود واشباه ذلك مما يجري في هذا السبيل . واما العُقَد فلا شك انَّهُ الحساب بالاصابع بان يشار بعقدها الى العدد على جهة التواطؤ على هيئات معلومة وقد اضرب المصنّفون والشرّاح عن بيان ذلك في كُتبهم كما سكت علماء اللغة باجمعهم عن الكلام فيهِ مع ورود كثيرٍ منهُ في مصنّفات اهل الادب وبناء بعض المتداول من كلام العرب عليهِ وهو من العجب بمكان . ولقد تفقّدنا كتب اللغة في هذا الموضع فلم نجد الّا قول صاحب القاموس « وعَقَد الحاسب حسَب » لم يزد عليهِ ولا تعرَّض الشارح لشيء فيهِ واغفل صاحب الصحاح وصاحب لسان العرب هذا المعنى من اصلهِ » . (الى هنا انتهى كلام البيان)

قلنا: امّا ضبط العُقَد فهو بضمّ فتح على انها جمع عُقدَة. جاء في حواشي الشيخ يس على التصريح ما نصهُ: « قولهُ العقد بضمّ العين المهملة وفتح القاف جمع عُقدَة وهو حساب بالاصابع يستعملهُ التجّار » اه. قلتُ: وهذه العبارة ساقطة من نسخ الطبع لكنّها موجودة في نسخة قديمة صحيحة نُسخت في ايام مؤلفها وموجودة عند الامام اللغويّ الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي ببغداد. وفيها مخالفات كثيرة للمطبوعة

امّا النُصَب فهي بضمّ وفتح ايضاً وهي جمع نُصبة وهي: « السارية المنصوبة لمعرفة علامة الطريق » (التاج). وبهذا المعنى هي من الدوالّ الاربع وتنطبق على المقصود بدون ادنى تكلُّف بخلاف ما صرّح بهِ البيان

امّا قولهُ: « وقد اضرب المصنّفون والشرّاح عن بيان ذلك في كتبهم ». قلنا: ان العقد هي من الالفاظ الاصطلاحيّة وكثيرًا ما أعرض اللغويون عن ذكر المصطلحات فلا عجب إذن ان لم يذكروا معنى هذه اللفظة ايضاً. لكنّنا وأينا شرحها في كُتب أُخرى في معالمها ومظانّها منها: كتاب كشف الظنون. قد قال في كلامهِ عن انواع الحساب ما يأتي:

« ومنها علم حساب العُقُود اي عقود الاصابع. وقد وضعوا كلًّا منها باِزاء أعداد مخصوصة ثمّ رتّبوا لاوضاع الاصابع آحادًا وعشراتٍ ومئاتٍ والوفاً ووضعوا قواعد يتعرّف بها حساب الالوف فما فوقها. وهذا عظيم النفع للتجّار سيّما عند استعجام كل من المتبايعَين لسانَ الآخر وعند فقد آلات الكتابة. والعصمة عن الخطإ في هذا العلم اكثر من حساب الهواء (calcul mental) وكان هذا العلم يستعملهُ الصحابة (رضه) كما وقع في الحديث في كيفيّة وضع اليد على الفخذ في التشهُّد « انهُ عقد خمساً وخمسين » يعني ان النبي صلعم عقد اصابع اليد غير السبابة والابهام وحلّق الابهام معها. وهذا الشكل في العلم المذكور دالّ على العدد المرقوم. فالراوي ذكر المدلول واراد الدالّ. وهذا دليل على شيوع هذا العلم عندهم. وفي هذا العلم ارجوزة لابن الحرب اورد فيها مقدار الحاجة ورسالة لشرف الدين اليزدي اورد فيها قدر الكفاية » اه

قلتُ: انّ التجار عندنا يستعملون الى يومنا هذا الحساب بالاصابع عند بيع او شراء شيء ثمين او مهمّ بعددهِ. وذلك انهُ اذا وقعت المساومة بين البائع والمشتري وضع المشتري يدهُ في يد البائع ثم يحملان فوق يديهما ساترًا كمنديل ومحرمةٍ ثم يشير المشتري

الى البائع بعقد الاصابع فاذا لم يعجبهُ الثمن قال: لا. واذا قال لهُ: بستُك. فلا يعلم الحاضرون كم مقدار الثمن. ولكن غاية العدد بالعُقد ان ينتهي الى تسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة آلاف فقط. هذا الحساب مستعمل ايضاً في زماننا الحاضر في البلاد الحجازيَّة والهنديَّة (راجع كتاب الشرح الجليّ ص ٨١ و ٨٢)

ومن المؤلفات التي صرّحت بهذا الحساب مطولاً كتاب الشَرح الجليّ على بيتي الموصليّ للشيخ احمد البربير وقد طُبع في بيروت بالمطبعة الادبيَّة سنة ١٣٠٢ هـ والمادة مذكورة في الصفحة ٨٥ وما يليها وهو كلام ضافي الذيل لو اوردهُ البيان برمَّتهِ لكفاهُ مؤونة التنقيب والتعريب ويوخذ من كلامهِ ان معنى العُقْدَة من قولهِ: « او سبعة (اي انهم اذا ارادوا سبعة) طووا العقدة السفلى من البنصر . . . . » هو كلّ مفصل من مفاصل الاصابع وعظامها. وقد اشار ايضاً الى هذا المعنى جمهور اللغويين في شرح لفظة الانملة اذ قالوا: « الانملة من الاصابع العُقْدَة »

ومن الكتب التي اوضحت شرح هذه المادَّة خزانة الادب. قال صاحبها في الصفحة ١٤٧ من الجزء الثالث ما نصهُ: « اعلم ان العُقُود او العُقَد نوع من الحساب يكون باصابع اليدين يقال لهُ: « حساب اليد ». وقد ورد منهُ في الحديث: « وعقَدَ عَقْدَ تسعين » وقد ألّفوا فيهِ كُتباً واراجيز منها ارجوزة ابي الحسن عليّ الشهير بابن المقربي. وقد شرحها عبد القادر ابن عليّ بن شعبان العوفي ومنها في عُقَد الثلاثين:

وأضممهما عند الثلاثين ترى كقابض الابرة من فوق الثرى

قال شارحها: « اشار الى ان الثلاثين تحصل بوضع ابهامك الى طرف السبَّابة اي جمع طرفيهما كقابض الابرة » اه (اطلب صورتها في الصفحة التالية كما رسمها البيان)

قلتُ: اما هذه الكتب وهذه الاراجيز التي وُضعت لهذا الحساب فانها لا شكّ مخفيَة عند هذا وذاك من مُحبّي العلم والحرصاء على مستودعاتهِ ولذلك أصبحت أعزّ من الغراب الاعصم. ولمّا رأى صاحب الفضل والفضيلة الامام المروَّع والعلامة المُتَّبع الذي لم يرث العلم كلالةً بل اجتهاداً وسُلالةً الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي ما تبذلهُ مجلة المشرق من السعي وراء الحصول على مثل هذه الآثار العربيَّة لنشرها من عالم الانحلال والاضمحلال الى عالم التأثل والرجوع الى احسن الاحوال دفع اليّ قصيدةً في هذا المعنى من نظم الشيخ الامام شمس الدين محمّد بن احمد الموصليّ

الحنبلي . ورمز اليَّ ان أُفسّرها بعبارة وجيزة جليَّة تصيباً للفائدة. فحققت مُناه ولبّيت دعواهُ غير انهُ يحسن بي قبل ذكر هذه المنظومة الغرّاء ان أُبيّن تتمّة ما يتعلق بهذا الباب من البحث فاقول:

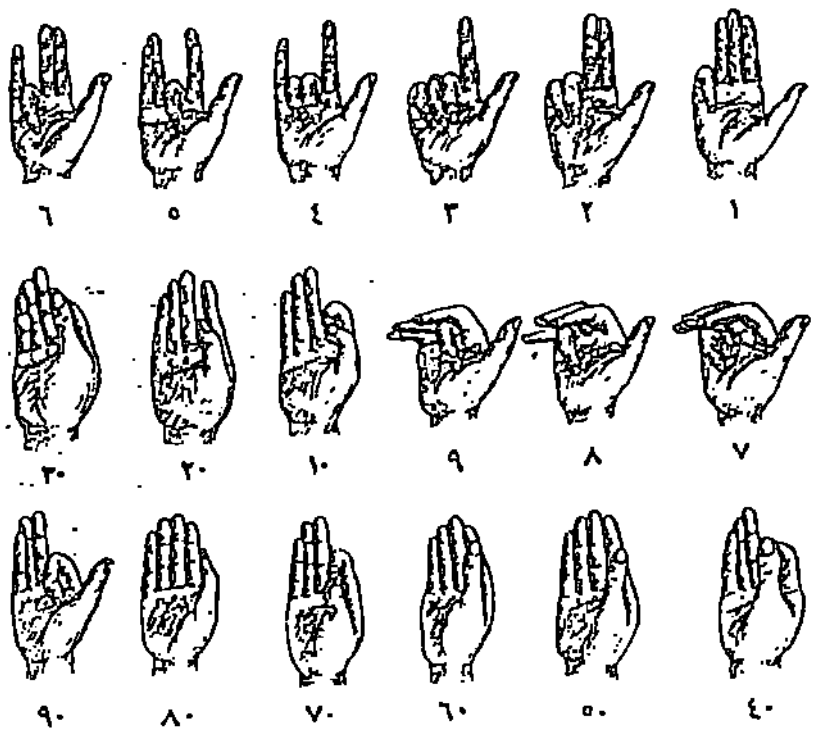

صورة العُقَد اي الحساب باصابع اليد

ومما يندرج تحت مطاوي هذا الموضوع (الخارجة). وقد افرغ البيان كنانة جهده لشرح هذه اللفظة فرجع بخفّي حنين وان ظنّ في نفسهِ انهُ جاء بفصل الخطاب وحقّ ان يُقال بعد كلامهِ: قطعت جهيزة قول كل خطيب. وقد افتتح كلامهُ في هذا الصدد بما يلحهُ بالتفاصيل التي اوردناها بحرفها فقال: « على انهم كانوا يستعملون فنوناً من الحساب يبنونها على عقد الاصابع اشهرها ما يُعرف عندهم بالخارجة. وهذه ايضاً لم ينقلوا في تفسيرها ما فيهِ غناء » اه. ثم سرد نصوص اللغويين الاثبتة وبيّن انها قاصرة عن تأدية المعنى المطلوب. وبعد ذلك تطرّق الى تطييب حلّ المعضلة بسلك الختام فقال: « لكن جاء في هامش تاج العروس بازاء ذكر الخارجة ما نصُّهُ: قد ذكر عاصم كيفيّة

الخارجة فمن اراد معرفتها فليرجع الى الاوقيانوس» ثم تنفّس الصعداء وقال: «اه والحمد لله. وهذا تعريب عبارة عاصم مع بعض تصرّف وايضاح وتصحيح ما فرط فيه من السهو قال: «الخارجة المساهمة بالاصابع ومثلها المناهدة وذلك ان العرب الاوّلين لم يكونوا يعرفون الكتابة فكانوا اذا ارادوا قسمة شيء بينهم قسموهُ بحساب الاصابع وكذلك كانوا يفعلون في الضرب» اه

قلنا: كنّا نودُّ ان يورد البيان تعريب نصّ الاوقيانوس دون زيادة ولا نقصان وبدون «بعض تصرّف وايضاح وتصحيح ما فرط فيه من السهو» لانَّ ما خُيّل اليه أنهُ كذلك أوقع الابهام والايهام. والخطأ في تحصيل المرام. لمعنى الخارجة التي يدور عليها الكلام ولذلك جئتُ بما يرفع اللثام. عن محيّا اللَّبس والشبهة في الافهام. موردًا ما اخذتهُ عن الامام النطاسي. الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي. وعن غيره من الائمّة الاعلام. المشهورين في دار السلام (ستأتي البقيّة)

فوائد لغوية

لحضرة الامير شكيب ارسلان احد اعضاء الجمعية الاسيوية

قال لنا الفاضل الذي اجبناهُ على اسئلته الواردة في العدد الثالث والعشرين من هذه المجلة: قد فهمنا كلامك في «النوادي» وانها ممّا ورد في اقوال المتقدّمين والمتأخرين ولم يخلُ منهُ كلام الجاهليين فضلًا عن كون القياس يؤيد هذا الجمع. امّا «استأسر» فلم تورد لنا عليها سوى شاهد ابن الاثير صاحب التاريخ وابن الاثير هذا مولّد ويجوز ان يسقط فيما سقط فيه غيرهُ مهما كان من علوّ طبقته ورفعة قدره فهل يا ترى اذا ذهب قوم الى ان «استأسر» الواردة في حديث المطرّزي هي تحريف يمكنك ان تأتينا بشاهد ينفي عنها هذه الشبهة ويؤكد ان الحديث مرويٌّ بلفظهِ ولا دخل فيه؟

(قلتُ) اذا لم يقنعك الامام المطرّزي بروايته وابن الاثير في درايته جئتك بابي الطيب المتنبّي الذي كان فوق طبقته في الشعر اماماً بل امّةً وحدهُ في علم اللغة وذلك حيث لا يحتمل وقوع التحريف قال:

تقنص الخيلَ خيلهُ قنصَ الوحـ ـشِ ويستأسرُ الحميسَ الرعيلُ